الإصلاح الإنجيلي والإرسالية

ثروت وهيب

أثناء فترة الزخم الأولى في بواكير تاريخ الكنيسة، اهتمت الكنيسة اهتمامًا بالغًا بالعمل المرسلي؛ ففي التاريخ الكتابي نرى التنامي السريع لوصول الكنيسة برسالة الإنجيل إلى أجزاء كثيرة من العالم. بدأت بالمركز الأول، أورشليم، وانتشرت إلى اليهودية فالسامرة وسعت للوصول إلى أقصى الأرض. ينتهي التاريخ الكتابي في العهد الجديد بوصول رسالة الإنجيل إلى قلب روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، وكثير من المدن الكبرى كأنطاكية، وأثينا، وكورنثوس، وأفسس... وغيرها. استمر هذا الزخم في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ المسيحية؛ حيث استمرت جذوة العمل المرسلي مشتعلة من خلال آباء الكنيسة في عصر ما بعد الرسل، وتوجهت الجهود المرسلية لتصل حتى الهند وأرمينيا (لوريمر ج2 ص2) وأثيوبيا وكذلك للشعوب القوطية. (لوريمر ج3 ص146). وهكذا انتشرت رسالة الإنجيل وزادت رقعة الكنيسة بالرغم من وجود معارضات واضطهادات.

استمرت هذه الروح لعدة قرون، حتى أننا يمكن أن نقول إن تاريخ الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى هو تاريخ الإرسالية. لكن هذه الجهود المرسلية لم تستمر بنفس الكيفية؛ حيث طفت على السطح اهتمامات أخرى للكنيسة أخذت الكثير من الجهد. واجهت الكنيسة العديد من الهرطقات والتعاليم الغريبة وخاصة تلك المتعلقة بطبيعة المسيح. ساهمت هذه التحديات اللاهوتية في انقسام الكنيسة وابتعادها عن جوهر إرساليتها. وبالرغم من ضعف الجهود المرسلية المركزية، فإن هناك العديد من الاستثناءات، سواء من بعض الباباوات أو المرسلين الذين أخذوا على عاتقهم حمل رسالة الإنجيل لأماكن جديدة.

اصطدمت الكنيسة بالعديد من أحجار العثرة سواء من انحرافها عن الحق الكتابي الخاص بالخلاص بالإيمان بالمسيح يسوع، أو بسبب انحراف قادتها الذين فضَّلوا المناصب والأموال عن حياة الخدمة والاتضاع. اقتضى هذا ظهور حركة الإصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، والتي بدأها مارتن لوثر واستكمل مسيرتها العديد من المصلحين.

علاقة الإصلاح بالعمل المرسلي

أما بخصوص علاقة الإصلاح بالعمل المرسلي فهناك رأيان قد يبدوان متناقضين عن اهتمام المصلحين الأوائل بالعمل المرسلي.

أولًا: المصلحون أهملوا العمل المرسلي

يشير عدد من المنتقدين لحركة الإصلاح إلى أن المصلحين الأوائل كانوا غير مبالين بالإرسالية. يذهب البعض منهم في نقده إلى الحدِّ الذي جعل المصلحين مُعادِين للإرسالية. ويكتب في هذا الكاثوليكيُّ روبرت كاردينال بيلارمين، في القرن السادس عشر، مشيرًا إلى إهمال المصلحين (البروتستانت)

للإرسالية: "لم يُقال أبدًا عن الزنادقة (أي البروتستانت) أنهم قد حولوا الوثنيين أو اليهود إلى الإيمان، ولكن فقط حولوا مسيحيين آخرين إلى طرقهم المنحرفة". (Bosch, 244).

ومن الأسباب التي أيَّدت هذا الادِّعاء عن المصلحين، أن عددًا من المصلحين -وعلى رأسهم لوثر- آمنوا أن الإرسالية العُظمى قد تحققت. في هذا الصدد يقول لوثر عن الوصية المرسلية: "لم يَعُد أحدٌ لديه مثل هذه الوصية المرسليَّة العالميَّة، ولكن كل أسقف أو راعٍ له كنيسة أو رعية معينة هو المُكلَّف بهذه الإرسالية". (Braaten, 15). كان المصلحون مشغولين بالعالم المسيحي في أيامهم، لقد قاوموا الفساد الذي كان موجودًا في الكنيسة سوء من ناحية التعليم أو من ناحية السلوك. لقد كانت مشغوليتهم داخلية في الكنيسة، خاصةً في أوروبا، لذلك لم يهتموا بالعمل المُرسلي خارج الكنيسة.

رفض المصلحون الباباوية وكلَّ ما يتعلق بها رفضًا تامًّا. لقد أنكروا الدورَ العالميَّ الذي كان يدَّعيه الباباوات، وكان من نتيجة هذا الرفض أنهم رفضوا النشاط المرسلي الكاثوليكي الروماني نفسه. لقد تبرأ المصلحون من منهجية "الإرسالية البابوية" خاصةً تلك التي رافقت القوة العسكرية التي استعمرت بعض البلاد وجعلت سكان هذه البلاد يدينون بالمسيحية تحت الضغط. وضع المصلحون الأسس النظرية والعقائدية للحركات القومية المناهضة للاستعمار، مما ساعد في تقديم دعم شعبي واسع في تلك البلاد للإصلاح الإنجيلي، الذي وقف ضد البابوية ونشرها للدين تحت ضغط القوة الاستعمارية المسلحة. (Verkuyl, 19). انتقد المصلحون النشاط المرسلي للكنيسية الرومانية الكاثوليكيَّة لأنه كان يتم من خلال الرهبان وليس من خلال عامة الشعب من رعايا الكنيسة. لقد رفض المُصلحون الرهبنة بكل ما تشمله أو تقوم به، بما فيه العمل المرسلي. لقد عابوا على هذه الممارسات أنها تمثل معايير مزدوجة للحياة المسيحية التي تفصل بين الرعية المسيحية والراهب الذي يقوم بالأعمال الصالحة من خلال الإرسالية. (Hagg, 99-100).

واحد من أهم الأسباب التي جعلت الاهتمام بالعمل المرسلي للمصلحين محدودًا هو تفسير ما جاء في إنجيل متى 28: 16- 20 عن الإرسالية العظمى. لقد ظن المصلحون أن هذا التكليف هو خاص بالرسل فقط ولا يخص من جاءوا بعدهم. ولقد عبروا عن هذا بالإشارة إلى أن الإرسالية لجميع الأمم قد تحققت بالفعل على نطاق عالمي في عصر الرسل. لذلك فعلى الكنيسة أن تعظ بالكلمة وتمارس الأسرار المقدسة في نطاقها الجغرافي المحلي فقط. (Braaten, 15).

ساد على فكر المصلحين مثل لوثر وميناثون القناعة بأن مجيء الرب سيحدث في وقت قريب جدًّا، وأن نهاية العالم ستأتي في وقت ما خلال القرن السادس عشر، لذلك لن يكون هناك وقت للكنيسة للقيام بالكثير من العمل المرسلي. (Braaten, 16). كذلك آمن بعض المرسلين بأن موارد الكنيسة محدودة ولا تحتمل صرفها في العمل المرسلي لشعوب، في ظنهم، رفضت رسالة الإنجيل ولا فائدة من الكرازة لهم. (Verkuyl, 19).

وكان لتحول الصراع اللاهوتي بين الكاثوليك والبروتستانت في السنوات التي تلت الإصلاح إلى صراعٍ عسكريٍّ في بعض المناطق في أوروبا دور كبير في ظن المصلحين أن مواردهم محدودة ولا تحتمل صرفها في مجالات لا طائل منها كما كانوا يظنون. (Verkuyl, 19).

أدى ضعف الوعي المرسلي وطبيعة المرحلة التي كانت تمر بها الكنيسة في وقت الإصلاح وأطرها اللاهوتية الضيقة إلى أن تكون الاستجابة للعمل المرسلي محدودة جدًّا. هذا ما اقترحه ودافع عنه منتقدو حركة الإصلاح بحسب ما توفر لهم في عصرهم من حجج وبراهين. ولكن بالنظر إلى الصورة من وجهة نظر أخرى، يمكن القول إن المصلحين فهموا الإرسالية بصورة أخرى تخالف الصورة السابقة من إهمال للعمل المرسلي.

ثانيًا: كان للمصلحين توجه مرسلي

1- من ناحية الفكر اللاهوتي عن الإرسالية

على النقيض من الفكرة التي نادت بأن المصلحين لم يكُن لهم توجه مرسلي، فإننا نجد بعض العلماء يقترحون عكس ذلك. لقد دافع هؤلاء الدارسون عن المصلحين بالقول إنهم تبنوا توجهًا مرسليًّا يتناسب مع عصرهم ولاهوتهم. ففي الحديث عن توجهات لوثر المرسلية اعتُبِر لوثر مفكرًا مرسليًّا أصيلًا، ويمكننا أن نقرأ الكتاب المقدس من خلال عيني لوثر المرسلي. (Bosch, 244). لقد عبَّر لوثر عن إيمانه بالإرسالية ومجالها العالمي بتشبيه الإنجيل بحجر يُلقى في الماء فتنتج عنه موجاتٌ دائريةٌ تتحرك من المركز إلى الخارج، حتى تصل إلى أبعد نقطة ممكنة، كذلك تتحرك كلمة الله المعلنة بطريقة مماثلة من المركز إلى أقاصي الأرض. (Hall, 235).

لقد كانت نقطة انطلاق لوثر في العمل المرسلي ليس ما يمكن أن يقوم به المؤمن أو الكنيسة لنشر رسالة الإنجيل، بل ما قام به الله في المسيح يسوع لأجل خلاص العالم. لقد زار اللهُ شعوبَ الأرض بتجسُّد المسيح، الذي هو نور العالم، والذي نشر هذا النور من خلال الكلمة المقدسة التي تجري وتنمو حتى اليوم الأخير. تكونت الكنيسة بدون مجهود بشري، مرسلي أو تعليمي، ولكن تكونت بطريقة تفوق حدود البشر، وذلك بواسطة كلمة الله. علم لوثر أن الإنجيل ذاته هو الذي يقوم بالعمل المرسلي ويجند في سبيل ذلك الأشخاص المناسبين. أساس الإرسالية في فكر لوثر ليس هو الكنيسة التي ترسل، أو المرسَل الذي يذهب، بل الله الذي يرسل كلمته لتصل إلى أقصى الأرض. لذلك لا يجرؤ واعظ أو مرسل أو خادم على أن ينسب لنفسه ولغيرته وحماسته أنه هو الذي يقوم بالعمل، ولكن هو عمل الله وحده الذي تؤسس عليه الإرسالية. (Bosch, 245).

لا يعني هذا السلبية والانعزال، فالإيمان بالنسبة للوثر هو شيء حي ولا بد أن يكون عاملًا. وفي لاهوته يقرر لوثر أننا لا نخلص بالأعمال، ولكن لو لم تكن هناك أعمال، تتبع الإيمان، فهناك شيء ناقص

في هذا الإيمان. (Bosch, 245). ذكر لوثر كذلك أنه لو وجد المسيحي نفسه في مكان لا يوجد فيه مؤمنون بالمسيح، فيجب عليه أن يعظ بالإنجيل للوثنيين الخطاة ويعلمهم إياه وذلك بدافع المحبة الأخوية حتى إن لم يكن هناك من يدعوه ليفعل هذا. كتب لوثر في تفسيره للصلاة الربانية وخاصة الطلبة التي تقول ليأتي ملكوتك:

> "هذا ما نطلبه، أن يأتي ملكوت الرب، حتى نستمر -نحن الذين قبلنا الرب- مُخلِصين له وننمو فيه يوميًّا ولنعترف به ونتبعه ونعلن عنه بين الآخرين ليتقدم ملكوته وينتشر في كل إنحاء العالم. نحن نصلي بقيادة الروح القدس لكي يأتي كثيرون إلى ملكوت الله بالنعمة ويصبحون شركاء في الخلاص، حتى نبقى معًا إلى الأبد في هذا الملكوت الذي ظهر الآن بيننا". (Bosch, 246).

لم يكتب لوثر لاهوتًا مرسليًّا متكاملًا، ولكن يمكن تتبُّع فكره المرسلي من خلال تفسيره لبعض النصوص الكتابية المتعلقة بالإرسالية؛ ففي شرحه لرسالة رومية مثلًا يقول لوثر عن (رومية 10: 14): "لا يمكن للمرء أن يأتي للإيمان أو يقبل الروح لقدس قبل أن يسمع الكلمة، كما يقول بولس: "كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به" فإذا كان لهم أن يسمعوا كلمة الله فكان يجب أن ترسل إليهم أولًا". (Plass, 957). وكذلك في شرحه لإنجيل مرقس الإصحاح الثامن يقول: "إن أسمى وأعظم عمل وأهم خدمة يمكن أن نؤديها لله على الأرض هي أن نجذب الآخرين، وخاصةً أولئك الموكلين إلينا، إلى معرفة الله من خلال الإنجيل المقدس". (Plass, 958). كذلك في تعليقه على (غلاطية 22: 5) يضيف لوثر عن أسباب الفرح أنه يشمل الفرح لنجاح الإنجيل إذ يقول: "يفرح الله عندما ينتشر الإنجيل على نطاق واسع، وحين يؤمن الكثيرون، ويتسع ملكوت المسيح بهذه الطريقة". (Plass, 957).

أشار لوثر للخطوات التي يتخذها المؤمن لمساعدة الآخرين في التعرف على المسيح وذلك في شرحه لإنجيل يوحنا 14: 12- 14 إذ يقول:

> "ذلك فإن من يبدأ بمعرفة المسيح يبدأ في تعليم الآخرين وتشجيهم، فهو يعترف بما حصل عليه من عطية أمام الجميع، ولكنه كذلك يئن ويصلي لكي يأتي الآخرون للمسيح ليحصلوا على النعمة كما حصل هو عليها، لدى المسيحي المؤمن روح لا تهدأ، ففي الوقت الذين يتمتع به بالراحة السامية التي أعطاها له الله من خلال نعمته وسلامة، إلا أنه لا يستطيع أن يهدأ أو يخمل، ولكنه يجاهد بكل قوته كشخص يعيش لأجل هدف نشر إنجيل المسيح وإكرام الله وتسبيحه بين الناس ليجعل الآخرين أيضًا ينالون هذه النعمة ويكون هذا موضوع صلاته". (Plass, 959).

يعطي لوثر الغرض الأساسي من استمرار وجودنا على الأرض في شرحه لرسالة بطرس الأولى 1: 3 فيقول: "إننا نعيش على الأرض ليس لأي غرض آخر سوى مساعدة الآخرين. وإلا فإن الله سيأخذ أرواحنا لنموت بمجرد أن نؤمن، لكنه يتركنا نعيش في هذه الحياة لكي نقود الآخرين إلى الإيمان ونفعل لهم ما فعله من أجلنا". (Plass, 960-1). وفي إحدى عظاته عن يوحنا 20، أشار لوثر إلى أهمية الخدمة للآخرين في تشبُّهنا بالمسيح، فيبرز لوثر دعوة المسيح لتلاميذه أنه كما أرسلني الآب إلى العالم أرسلكم أنا ويحث كل مؤمن أن يفكر بطريقة تشابه يسوع وذلك بأن "يقضي حياته في خدمة ومساعدة الجميع وإلا فإنه

لا يجد شيئًا ليفعله كمؤمن على الأرض... لذلك فإنه كما أرسل الآبُ الابنَ هو يرسل المؤمنين أيضًا إلى العالم لكي يعلم كل مسيحي رفيقه الإنسان أن يأتي إلى المسيح". (Plass,960).

رغم أن الأفكار التي ذكرها لوثر كانت تتكلم بصورة إيجابية عن الإرسالية، إلا أن التطبيق العملي لها لم يؤدِّ إلى وجود حركة مرسلية تخرج خارج الكنيسة لنشر رسالة الإنجيل بين غير المسيحيين.

كان هناك لاهوتيون لوثريون آخرون في عصر الإصلاح الذين تكلموا عن الطبيعة المرسلية للاهوت، ولكن بطريقة أقل وضوحًا. أما كالفن فكان واضحًا لأن أفكاره اللاهوتية تتناول مسؤولية المؤمن في العالم بصورة جدية. لذلك فقد حث المؤمنين على تقديم كلمة الله بطرق متنوعة لأنها الوسيلة التي من خلالها يتعرف الناس على المسيح. (Bosch, 251). وبالرغم من هذا فإنه لم يركز كثيرًا على صياغة شيء يُذكر كلاهوت للإرسالية، ولكنه مثل لوثر نبَّر على مسؤوليَّة المؤمنين نحو تقديم كلمة الله.

ولعل أبرز المصلحين المناصرين لفكرة أن الإرسالية العظمى لازالت ملزمة للكنيسة هو عالِم اللاهوت أدريان سارافيا (1531- 1613) والذي نادى بأن الإرسالية العظمى تُفهم بمعنى الذهاب إلى من يعيشون خارج حدود البلاد المسيحيَّة. كان سارافيا معاصرًا لكالفن. كتب سارافيا عن متى 28: 18- 20 فيما يخص الإرسالية العظمى أنه بإمكاننا الحصول على وعود يسوع لو أطعنا الإرسالية. وبالرغم من اختلاف البعض مع سرافيا في توجهاته المرسلية، فإنَّه طوَّر في علم اللاهوت المرسلي. لقد علَّم عن المواهب والتكليفات المختلفة لخدام الإنجيل الذين كلَّفهم الربُّ بإرساليَّته. كما جادل بأن الإرسالية العظمى لا تزال نشطة بالنسبة لنا اليوم، ولم تتوقف عند زمن الرسل كما نادى مصلحون آخرون. ولقد أثر هذا على جوستوس هيرنيوس وجيرتوس فوتيوس وهما من أهم اللاهوتيين الذين صاغوا اللاهوت المرسلي بصورة مركزة ساهمت في إحداث نقلة فكرية وعملية في النشاط المرسلي للكنائس المصلحة. (أوت، 21).

لعب فوتيوس (1586- 1676) دورًا محوريًّا في إثراء اللاهوت المصلح فيما يتعلق بالعمل المُرسَلي. لقد كان فوتيوس هو أول من وضع فكرًا لاهوتيًّا شاملًا للعمل المُرسَلي عندما صاغ الأهداف العظمى للإرسالية. لقد ذكر أن الهدف الأسمى والنهائي هو إعلان مجد الله ومدح النعمة الإلهية، والهدف الثاني هو غرس الكنيسة في العالم، أما الهدف الثالث وهو الهدف المباشر للإرسالية فهو قبول الأمم للإيمان. Bosch, (256).

كان أساس الإرسالية بحسب فكر فوتيوس ينبع من قلب الله، وهو واحد من اللاهوتيين الذين صاغوا المصطلح المرسلي المعروف اليوم بـ"إرسالية الله Missio Dei". لقد رأى فوتيوس أن من أهداف الإرسالية هو توحيد الكنائس التي كانت على شفا الانهيار أو تشتت بسبب الاضطهاد، كما نادى بأن العمل المرسلي سيعمل على تجديد الكنائس التي تراجعت لاهوتيًّا وروحيًّا، وسيعمل على مساندة الكنائس الفقيرة والمُضطَهَدة. اعتبر كذلك أن القيادات الدينية والتي تشمل البابا والأساقفة والأنظمة الطائفية هم وكلاء غير مناسبين للقيام بالإرسالية. ففي رأيه أن الكنيسة وحدها هي الحامل الشرعي لإرسالية الإنجيل فهي الكيان

الوحيد القادر على غرس كنائس أخرى. (Bosch, 257). ونادى بأن الكنائس الكبيرة التي تزرع كنائس صغيرة لا تملك حق الوصاية عليها، بل هي كنائس متساوية من حيث القيمة والرسالة. كذلك ناهض فوتيوس ممارسة أي نوع من القهر فيما يتعلق بالأمور الدينية، فأتباع الديانات الأخرى لهم الحرية في قبول أو رفض المسيح. (Jongened 1989- 128).

لعب كذلك المصلح اللاهوتي الألماني جوستنيان فون فيلز (1621- 1666) دورًا محوريًّا في حث الكنيسة الألمانية على العمل المرسلي. فقد كتب ثلاثة كتيبات تدعو بطريقة حماسية للانخراط في العمل المرسلي. فقد علَّم فيلز أن الإرسالية العظمى لازالت تتمتع بالشرعية الكاملة. وانتقد الكنيسة اللوثرية بسبب انحصارها في مجالها المحلي دون النظر لعالميَّة الإرساليَّة. بالرغم من المقاومة الشديدة لأفكاره المرسليَّة إلا أن تعاليم فيلز كانت سابقة لعصرها واتبعتها حركة العمل المرسلي التقوية بعد ذلك. (Bosch,251-2). بلغ حماس فيلز للعمل المرسلي الحد الذي قاده إلى الارتحال إلى سورينام في أمريكا الجنوبية عام 1666 ليخدم هناك كمُرسَل، ولكن افترسته الحيوانات الضارية دون أن يترك لنا أي آثار عن خدمته المرسلية. (أوت،20).

فرضت التطورات التاريخية واللاهوتية على حركة الإصلاح أن تطوِّر من فكرها اللاهوتي فيما يختص بالعمل المُرسَليّ. لقد لعب التطهريون والتقويون دورًا مهمًّا في نشر الفكر اللاهوتي للعمل المرسلي وتحفيز المؤمنين على الخروج لهذا العمل. استخدم التطهريون والتقويون العظات والترانيم والمؤلفات التي تتحدث عن الإرسالية في ترويج فكرهم. نحت بعض هذه الأفكار نحو الإثارة والحماس والاختبارات المشجعة وتغليبها عن الفكر. إلا أن جوناثان إدواردز عادل بين الفكر الكتابي والتجربة الشخصية في مؤلفاته إبان النهضة الروحية العظمى. كانت أفكار إدواردز بمثابة الوريد الفكري والروحي الذي غذَّى اللاهوت المُرسَلي في القرن الثامن عشر. (أوت، 21). كذلك فإن وليم كاري (1761- 1834) الذي سُمِّي بأبي الإرساليات الحديثة تأثر بدراسته للكتاب المقدس واطِّلاعه على تقارير المستكشفين عن دول أخرى في العالم. تولَّد في وليم كاري حماسٌ عظيمٌ للإرسالية قادَه ليكتب كتابَه الخالدَ المُسمَّى "بحث عن التزام المسيحيين باستخدام وسائل للإتيان بالأمم الوثنية إلى الإيمان" والذي نُشر عام 1792. حث هذا الكتاب ذو السبعة والثمانين صفحةً الكنيسةَ أن تعلن عن ملكوت المسيح إلى أقصى الأرض. (لوريمر، 150).

وهكذا تطور الفكر اللاهوتي المصلح فيما يتعلق بالإرسالية متأثرًا بالعوامل التاريخيَّة المعاصرة لكل فترةٍ. تطور الفكر من إهمال العمل المرسلي بل ورفضه في بعض الأحيان إلى تبلور فكر كتابي ولاهوتي يحث الكنيسة على القيام بالعمل المرسلي. أثر ذلك ليس فقط على الفكر، ولكن بالأحرى على ممارسة العمل المرسلي والقيام به بطريقة عملية، وهو ما سنتطرق إليه في الصفحات القادمة.

2- ممارسة العمل المرسلي

في بداية الإصلاح الإنجيلي، ونتيجة للأسباب السابق ذكرها، كان هناك تباطؤ في القيام بالعمل المرسلي. كانت هناك مبادرات صغيرة في القرنين الأولين للإصلاح، ولكنها تطوَّرت بعد ذلك لتكون واحدةً من أعظم الحركات المُرسَليَّة في التاريخ.

واحدة من الجهود المبكرة غير المكتملة هي التي قام بها جون كالفن عندما أرسل عشرات الكارزين لوطنه فرنسا، كما قام بتكليف أربعة مُرسَلين مع مجموعة من المؤمنين الفرنسيين بتأسيس مُستَعمَرةٍ في البرازيل عام 1555 لتكون مركزًا لانطلاق إرسالية تكرز للسكان الأصليين. ولكن فشلت هذه المبادرة عندما انشق أحد القادة وتحالف مع البرتغاليين الذين نهبوا المستعمرة وأنهوا الجهود المرسلية الوليدة. (تكر، 122).

كذلك قام المصلحون اللوثريون بجهود مُرسَلية إلى بلاد (لابلاند) في أوروبا (عام 1559) بتشجيع ومساندة الملك جوستاف ملك السويد. كانت هذه الجهود المبكرة تحمل دوافع سياسية وذهبت تحت سلطان الدولة متجهة للمستعمرات التابعة لها. (Bosch, 245).

استمرت الجهود المرسلية في القرن الثامن عشر حيث وصل اللوثريون الدنماركيون بإرساليتهم إلى الهند عام 1706 من خلال مُرسَل شاب اسمه زيجنبالج، والذي خدم في ساحل الهند الجنوبي، ووجد مقاومة شديدة من الكاثوليك، ومن البراهمة الهندوس. لكن جهوده المرسلية وضعت أسسًا استراتيجيةً للعمل المرسلي؛ حيث ركز على أهمية تعليم القراءة والكتابة وأهمية وجود المدرسة بجوار الكنيسة في الحقول المرسلية. كما عمل على ترجمة العهد الجديد للغة التاميل وسعى لتكوين كنيسة وطنية مستقلة وبواسطة جهوده تأسست الكنيسة اللوثرية في جنوب الهند. (لوريمر 144).

حدث نجاح ضئيل للعمل المرسلي البروتستانتي في القرن الثامن عشر؛ فلقد كانت الجهود المُرسَلية تتميز بالطابع الفردي وليس المؤسَّسي. فمثلًا ذهب أحد أشهر المرسلين البروتستانت في القرن الثامن عشر وهو كريستيان فريدريك شوارتيز (1724- 1798) للخدمة في الهند وكوَّن هناك كنيسةً هنديةً وطنيةً، ولكن بسبب عدم الاهتمام بخدمته من قِبَل الكنائس الأوروبية ضاعت كثير من نتائج الخدمة. هناك كذلك عمل هانز أيجيد في المناطق الجيلدية في جرنيلاند التي يسكنها "الأسيكمو" حيث وجد نجاحًا ضئيلًا، ولكن جهوده مهَّدت الطريق ليعرف الأسيكمو المسيح؛ إذ قام بترجمة الكتاب المقدس إلى لغتهم وتابع عمله من بعده مرسلون موارفيون ألمان. (لوريمر 145-6). لاقت هذه الجهود في القرن الثامن عشر معارضةً من القوى الأوروبية الاستعمارية ومن الكنائس الرئيسيَّة في أوروبا. اتَّسمت تلك المعارضة بالعديد من المواقف السلبية، سواء نحو الشعوب المكروز لها، أو بسبب ضعف وسائل العمل المرسلي، وضعف التخطيط الاستراتيجي.

من أهم الجماعات التي قامت بالعمل المرسلي في القرن الثامن عشر وما بعده هي جماعة (المورافيين). نشأ المورافيون في وسط أوروبا، واتخذوا النهج التَّقَوِيّ في لاهوتهم وحياتهم. كان قائد هذه

الجماعة التاريخي هو الكونت زينزندورف الذي تزعَّم الحركة المُرسَليَّة المورافيَّة وألف عشرات الترانيم وقاد حركة الكرازة العالمية. (تكر، 126-30).

انتشرت جهود المورافيين المرسلية لتشمل جُزُرَ فرجين وجرنيلاند وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وجنوب أفريقيا. (Bosch, 252). وصل المورافيون بخدمتهم المُرسَلية إلى مصر عام 1752 حيث خدموا في كلٍّ من القاهرة والبهنسا لمدة ثلاثين عامًا، من خلال عددٍ من المُرسَلين الذين استخدموا الكرازة والعمل الطبي وتوزيع أجزاء من الكتاب المقدس في خدمتهم (للمزيد عن خدمتهم في مصر، انظر ثروت وهيب، وعبد المسيح اسطفانوس، 54-5).

لعبت جماعة الأنابابتست دورًا بارزًا في العمل المرسلي كإحدى الجماعات النابعة من الإصلاح الإنجيلي. ركزت هذه الجماعة على مناهضة الدور السياسي للكنيسة وأن يكون التركيز هو تقديم رسالة الإنجيل إلى أقاصي الأرض. وذهبوا بجهودهم المُرسَلية إلى العالم الجديد في أمريكا الشمالية والجنوبية وإلى بعض الأجزاء في أوروبا. قبلت حركة الأنابابتست فكرة لوثر عن كهنوت جميع المؤمنين، وفي نفس الوقت قامت بتطويرها. بينما كان لوثر لا يزال يؤمن بمبدأ الإبراشيات المحدَّدة محليًّا، والمناصب الكنسية المحصورة في هذه المناطق المحددة جغرافيًّا؛ نبذ الأنابابتست فكرتي المنصب الكنسي الخاص وتحديد خدمة المسيحي في المنطقة التي يتواجد بها. ساعدهم هذا على اعتبار ألمانيا وكل البلاد المحيطة بها بمثابة حقول مرسلية، دون الأخذ في الاعتبار أية حدود بين الإبراشيات والأسقفيات. كان يتم اختيار الوعاظ وإرسالهم بصورة منظَّمة إلى العديد من بلدان أوروبا. كان نَصُّ الإرسالية العظمى بحسب بشارتَي متى ومرقس هو أكثر نص كتابي يظهر في اعترافات الأنابابتست بالإيمان وفي شهادتهم في المحاكم. كما كان الأنابابتست من أوائل من جعلوا الإرسالية فرضًا على كل المؤمنين. وعليه أصبحت أوروبا في نظرهم مرةً أخرى حقلًا مرسليًّا. كما كان في وقت الرسل، كان يجب تقديم الإيمان المسيحي إلى العالم الوثني. لم يكن مشروع الأنابابتست هو إصلاح الكنيسة الموجودة، بل استعادة المجتمع المسيحي الأول الأصيل للمؤمنين الحقيقيين. لقد كانوا يرون أنه لا يوجد فارق بين الإرسالية في أوربا "المسيحية"، والإرسالية بين غير المسيحيين. (Bosch, 246-8.).

نتج عن هذه الجهود المرسلية بواسطة الجماعات التَّقَوية والتطهُّرية تنامي الروح المرسلية وبلورة الفكر المرسلي البروتستانتي ووضع لبنات القرن المرسلي العظيم، وهو القرن التاسع عشر.

لقد شهد القرن التاسع عشر نهضة عظيمة جدًّا اجتاحت الكثير من مناطق العالم لنشر رسالة الإنجيل. هناك عدة أسباب أدت إلى حدوث تلك النهضة المرسلية وتشمل زيادة الاكتشافات العلمية التي سهَّلت الاتصالَ والسفر، وتنامي الوعي المرسلي، وكذلك إنشاء عدد كبير من الهيئات المرسلية سواء التابعة للطوائف القائمة مثل الكنيسة الأنجليكانية والكنائس المعمدانية والمشيخية وغيرها. كذلك نشأت هيئات لا طائفية كبيرة اتخذت على عاتقها الوصول إلى عدة مناطق في العالم. ظهرت كذلك العديد من الكتب

والدراسات الخاصة بلاهوت العمل المُرسَلي وطرق القيام به، ودخل هذا الفكر إلى كثيرٍ من كليَّات اللاهوت. (لوريمر، 148).

ظهرت في القرن التاسع عشر العديد من أسماء المرسلين الرُّوَّاد الذين أثروا تأثيرًا ممتدًّا على العالم المسيحي، ومنهم وليم كاري (الهند)، هيدسون تايلور (الصين)، ليفنجستون (أفريقيا)، جون هوج (مصر)، هنري مارتن (إيران)، روبرت موريسون (الصين)... وغيرهم. (لوريمر148-160).

خاتمة

بدأت الجهود المُرسَليَّة التي بذلها المصلحون الإنجيليُّون بداياتٍ صغيرةً وبسيطةً نتيجةً لعدة عوامل كما أشارت هذه الدراسة. استغرق الأمر أكثر من قرنين حتى تبلور الفكر اللاهوتي المصلح المتعلق بالعمل المُرسَليّ، وبالتالي ممارسة وتطبيق العمل المُرسَليّ. اتضح من هذه المسيرة أن الكنيسة المصلحة في بدايتها انحصرت في قضاياها الذاتية ومعركتها الشخصية دون الانتباه لدعوة الله المُرسَليَّة. ولكن الله لم يترك كنيسته في انحصارها وتقوقعها حول ذاتها، بل حرَّكها من خلال جهود بعض الأفراد أو الجماعات المُصلَحة. أدى هذا إلى تنامي الاهتمام بالعمل المرسلي وصياغة لاهوت للعمل المرسلي، ممَّا ساعد على زيادة انخراط الكنيسة والهيئات المسيحية وحماس كثير من الشباب للذهاب برسالة الإنجيل إلى أقصى الأرض.

مرَّت الكنائسُ الإنجيليَّةُ في الشرق الأوسط بمراحل مشابهةٍ؛ حيث انحصرت في البداية حول ذاتها في مراحل التأسيس، وأصبحت تتمركزُ حول الخدمة داخلها للمنتمين إليها، وإصلاح الواقعِ الروحيّ والكنسيّ في بلادها. ولكن بتطوُّر الفكر والتطبيق يمكن فتح آفاق جديدة وعديدة للكنيسة في الشرق الأوسط، لكي تقوم بالعملِ المُرسَليّ بنفسها ولا تنتظر مساعدة الغرب في القيام به. هناك آفاق غير محدودة للكنيسة الإنجيلية في الشرق الأوسط لتعلم عن الإرسالية وتمارسها وتساعد آخرين على القيام بها. وفي النهاية، فإن الكنيسة التي تقوم بالعمل المُرسَليّ هي كنيسةٌ حيَّةٌ نابضةٌ ناهضةٌ تدرك دورَها وتفهم أنها موجودةٌ لتحقيق إرساليَّةِ الله في هذا العالم.

المراجع

أولًا: المراجع العربية

اسطفانوس، عبد المسيح، **البهنسا: لمحة من تاريخ المسيحية بمصر في القرون الأولى**، القاهرة: المركز الثقافي القبطي، 2017.

أوت، كريج، ستيفن استرواس، تيموثى تينينت، **دراسة في عبور الثقافات**، ترجمة: نبيلة حنا، القاهرة: الناشر العربي، 2013.

تكر، روث ا. **إلى أقصى الأرض**، ترجمة وجدي وهبه وماريانا كتكوت، القاهرة: رؤية للطباعة، 2013.

رايت، كريستوفر، **إرسالية شعب الله**، ترجمة: هدى بهيج يوسف، القاهرة: دار الثقافة، 2014.

لوريمر، جاك **تاريخ الكنيسة**، الجزء الخامس، ترجمة: عزرا مرجان، القاهرة: دار الثقافة، 1991.

وهيب، ثروت، **العمل المرسلي في مصر**، القاهرة: دار رسالتنا وكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة، 2020.

ثانيًا: المراجع الإنجليزية

Bosch, David. **Transforming Mission: Paradigm Shifts in Theology of Mission** American Society of Missiology Series New York: Orbis Books, 1991, 390-1.

Braaten, Carl e. The Flaming Center. Phildelphia: Fourth Press, 1977.

Hagg, William Richey. *The Rise of Protestant Missionary Concern, 1517-1914*, an article in **The Theology of the Christian Mission.** Edited by Gerald H. Anderson. London: SCM Press, 1961.

Jongeneel, J.A.B. The Protestant Missionary Movement up to 1789; an article **Missiology: An Ecumenical Introduction**. Edited by F.J. Verstraelen. in William B. Erdmans Publishing Company, 1995. Grand Rapids:

Plass, Ewald M. **What Luther Says: An Anthology.** Vol. II. Saint Louis: Concordia Publishing House, 1959.

Verkuyl, J. **Contemporary Missiology: An Introduction.** Translated and edited by Dale Cooper. Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1978.